

الدرس العاشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين . أما بعد ..

الحديث السابع

عن أبي رقية تميم بن أوس الداري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « الدين النصيحة قلنا لمن ؟ قال لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم » رواه مسلم

الشرح..

هذا الحديث من الأحاديث العظيمة الجامعة لأمر الدين ؛ فهو من جوامع كلم الرسول صلوات الله و سلامه عليه ، وقد بيّن عليه الصلاة والسلام في هذا الحديث العظيم مكانة النصيحة من الدين ومنزلتها منه ، وأن النصيحة لها من الدين المكانة العليا والمنزلة الرفيعة ؛ ولهذا صدرّ الحديث بقوله عليه الصلاة والسلام " الدين النصيحة " .

وكنا عرفنا فيما سبق في حديث جبريل المشهور أن الدين ثلاث مراتب: الإسلام والإيمان والإحسان لقوله عليه الصلاة والسلام في تمام الحديث « هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم » فالدين يجمع تلك المراتب كما ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم في حديث جبريل ،

وهنا في هذا الحديث قال عليه الصلاة والسلام : " الدين النصيحة " ؛ فقلوه " الدين " أي بمراتبه . الإسلام والإيمان والإحسان . ؛ بمعنى أن النصيحة مطلوبة في الدين كله فما من أمر من أمور الدين ولا جانب من جوانبه سواء منها الأصول أو الفروع إلا والنصيحة مطلوبة فيه ولهذا قال عليه الصلاة والسلام " الدين النصيحة " بمعنى أن النصيحة أمر لا بد منه في الدين كله في أي جانب من جوانبه وأي مجال من مجالاته لا بد من النصيحة ، لا بد أن يكون العبد ناصحاً ولما قال عليه الصلاة والسلام هذه الكلمة الجامعة " الدين النصيحة " أدرك الصحابة رضي الله عنهم مكانة النصيحة من الدين ومنزلتها منه ؛ فاتجه منهم السؤال " لمن " ؟ أي عرفنا شأن النصيحة من الدين ؛ فلمن تكون النصيحة ؟

اتجه منهم السؤال إلى ذلك ،، وقول الصحابة رضي الله عنهم " لمن " ؛ هذا سؤال يدل على عظيم الرغبة في الخير وتمام الاستعداد للنصح ، فحال الصحابة في قولهم " لمن " حال من استعد للنصيحة وتحمياً للقيام بها ، ولم يبق عليه إلا أن يعرف مجالاتها ؛ ولهذا اتجه منهم السؤال إلى النبي عليه الصلاة والسلام بقولهم " لمن " أي لمن تكون ولمن تبذل " قالوا لمن " .

قال " لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم " : فذكر لهم عليه الصلاة والسلام أن النصيحة مطلوبة في ذلك كله لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم ؛ فهذه خمسة مجالات لا بد للنصيحة فيها ، لا بد أن يكون العبد ناصحاً لله وأن يكون ناصحاً لرسوله ، و أن يكون ناصحاً لأئمة المسلمين وأن يكون ناصحاً لعامتهم ، باذلاً النصح للجميع ولكل حقه من النصيحة اللائقة بالمقام ، لكنها مطلوبة للجميع .

وأصل معنى هذه الكلمة إرادة الخير للمنصوح له وأيضاً القيام بالخير ؛ فالنصيحة قيامٌ بالخير للمنصوح له وأيضاً إرادة الخير له ؛ وهذا يدل على أن النصيحة تتطلب من الناصح نقاء القلب وصفاءه وسلامته ، وتتطلب منه أيضاً حسن العمل في حق المنصوح له كل بما يليق به ، فالنصيحة هي الدين وقوله عليه الصلاة والسلام " الدين النصيحة " ؛ فيه تعلية لشأن النصيحة وبيان لمكانتها العلية من الدين مثل قوله صلى الله عليه وسلم « الحج عرفة » ؛ فهذا يدل على أن عرفة من الحج وأنه ركن الحج الأعظم ، وكقوله عليه الصلاة والسلام « الدعاء هو العبادة » فهذا يبين مكان الدعاء من العبادة ، وقوله هنا " الدين النصيحة " يبين مكانة النصيحة من الدين وأن النصيحة أمر مطلوب في الدين كله نصحا لله ونصحا لكتابه ونصحا لرسوله ونصحا لأئمة الناس وعامتهم ، وسيأتي بيان ذلك كله

قال الشيخ عبد المحسن حفظه الله تعالى ورعاه :

[قوله « الدين النصيحة » هذه كلمة جامعة تدل على أهمية النصيحة من الدين وأنها أساسه وعماده ، ويدخل تحتها ما جاء في حديث جبريل من تفسير الرسول صلى الله عليه وسلم الإسلام والإيمان والإحسان ، وأنه سمي ذلك ديناً ، وقال هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم ، ويشبهه هذه الجملة قوله صلى الله عليه وسلم « الحج عرفة » ذلك لأنه الركن الأعظم في الحج الذي يفوت الحج

بفواته .

الشرح..

بدأ النبي عليه الصلاة والسلام الحديث بهذه الكلمة الجامعة " الدين النصيحة " ، وجاء في بعض الروايات أنه عليه الصلاة والسلام كرر هذه الكلمة ثلاثاً قال " الدين النصيحة .. الدين النصيحة .. الدين النصيحة " اهتماماً بالأمر وتأكيداً عليه . لان التكرار يدل على الاهتمام والتأكيد .

قوله عليه الصلاة والسلام " الدين النصيحة " : كلمة جامعة تدل على مكانة النصيحة من الدين ، وهي نضير قول النبي عليه الصلاة والسلام « الحج عرفة » ، وقوله عليه الصلاة والسلام « الدعاء هو العبادة » .

[ثانياً: جاء في مستخرج أبي عوانة أن النبي صلى الله عليه وسلم كرر هذه الجملة « الدين النصيحة » ثلاثاً ، وهي في صحيح مسلم بدون تكرار ، ولما سمع الصحابة هذه العناية والاهتمام بالنصيحة وأنها بهذه المنزلة العظيمة قالوا لمن يا رسول الله ؛ فأجابهم بالخمس المذكورة في الحديث ، وقد جاء عن جماعة من أهل العلم تفسير هذه الخمس ؛ ومن أحسن ذلك ما جاء عن أبي عمر بن الصلاح في كتابه " صيانة صحيح مسلم من الإخلال والغلط وحمائمه من الإسقاط والسقط] .

الشرح..

هذا الحديث جاء في مستخرج أبي عوانة أن النبي صلى الله عليه وسلم كرر هذا اللفظ ثلاث مرات ؛ أي أنه قال " الدين النصيحة .. الدين النصيحة .. الدين النصيحة " اهتماماً ، وعرفنا فائدة التكرار وما فيه الاهتمام والتأكيد ، والصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم لما سمعوا اهتمام النبي وعناية بالنصيحة وتوجيهه إليها وبيان أن الدين النصيحة اتجهت همتهم وعزيمتهم ورغبتهم إلى القيام بالنصح الذي هو الدين ؛ فسألوا النبي عليه الصلاة والسلام قائلين لمن ؛ وكما قدمت قول الصحابة " لمن " هذا دليل على صدق الرغبة لديهم وتمام الحرص على فعل النصيحة وبذلها ، فهم أدركوا قيمتها ومكانتها وسألوا النبي صلى الله عليه وسلم عن مجالاتها ؛ قالوا لمن يارسول الله أي لمن تُبذل ومن تُقدَّم ومن تكون ؛ فأجاب صلوات الله وسلامه عليه بالخمس المذكورة في الحديث أي قال : " لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين

وعامتهم " .

وفي بيان معنى النصح في هذه الخمس المذكورة في هذا الحديث ؛ لأهل العلم أقاويل عديدة ، وجاء عنهم في ذلك نقول مفيدة ؛ من أحسنها وأجودها وأجمعها ما نقل عن أبي عمرو بن الصلاح رحمه الله تعالى كتابته " صيانة صحيح مسلم " وكتابه مطبوع وأيضاً كلامه هذا نقله بتمامه الحافظ ابن رجب رحمه الله تعالى في كتابه جامع العلوم والحكم ، ونقل أيضاً بعض النقول الأخرى عن علماء آخرين في بيان معنى النصيحة منهم محمد بن نصر المروزي وغيره .

والكلام الآتي المنقول عن أبي عمرو بن الصلاح كلام عظيم في بيان معنى النصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم .

قال رحمه الله تعالى :

[والنصيحة كلمة جامعة تتضمن قيام الناصح للمنصوح له بوجوه الخير إرادةً وفعلاً ؛ فالنصيحة لله تبارك وتعالى توحيده ووصفه بصفات الكمال والجلال جمع وتنزيهه عما يضادها ويخالفها وتجنب معاصيه والقيام بطاعته ومحابه بوصف الإخلاص والحب فيه والبغض فيه وجهاد من كفر به تعالى وما ضاهى ذلك والدعاء إلى ذلك والحث عليه] .

الشرح..

قال ابن الصلاح رحمه الله في بيان معنى النصيحة قال: " هي قيام الناصح للمنصوح له بوجوه الخير إرادةً وفعلاً " وهذا يفيد أن النصيحة لا بد فيها من عمل القلب، ولا بد فيها أيضاً من عمل الجوارح ؛ بمعنى أن القلب لا بد أن يكون ناصحاً والجوارح أيضاً لا بد أن تكون ناصحة ، فليس النصح أمراً في القلب فقط ؛ بل النصح في القلب والجوارح ، وكما أن القلب ينصح فاليد أيضاً تنصح والعين تنصح واللسان ينصح ؛ فالنصح يكون بالقلب إرادةً ويكون بالجوارح فعلاً .

والنصح هو القيام بوجوه الخير أي أن يبذل الناصح الخير للمنصوح بوجوهه وأنواعه وأفراده قدر استطاعته ولا يكون النصح بالقلب فقط بل لا بد مع القلب أيضاً من الجوارح ؛ ولهذا قال رحمه الله " هو قيام الناصح للمنصوح له بوجوه الخير إرادةً وفعلاً "

إرادةً : أي في القلب . لأن الإرادة محلها القلب .

وفِعْلاً : أي بالجوارح ، باللسان بالعين والبصر واليد والقدم .. وكل بحسبه وفي مجاله .

ثم بيّن رحمه الله تعالى ما يتعلق بالنصح لله . كيف يكون . ؛ قال : والنصيحة لله تبارك وتعالى توحيده ووصفه بصفات الكمال والجلال ، توحيده .. أي في ربوبيته وأسماءه وصفاته وألوهيته ، توحيده في ربوبيته باعتقاد أنه وحده الخالق الرازق المنعم المتصرف المدبر لشؤون الخلائق ، وتوحيده بأسماءه وصفاته بإثباتها والإيمان بها وعدم جحدها أو تعطيلها وعدم تمثيل الله تبارك وتعالى بخلقه أو محاولة تكييف صفاته وتنزيهه تبارك وتعالى عما لا يليق به من النقائص ، وتوحيده تبارك وتعالى بالعبادة بإخلاص الدين له وإفراده جل وعلا بالعبادة والبراءة من الشرك والخلوص منه ؛ بهذا يكون العبد ناصحاً في باب التوحيد لله جل وعلا .

فالنصح لله توحيدُهُ ؛ وبهذا يُعلم أن المشرك ليس ناصحاً لله ، وأيضاً من ينسب شيئاً من خصائص الله في ربوبيته لغيره ليس ناصحاً لله كمن يدّعي في بعض المخلوقين أنهم يعلمون الغيب وأنهم يعلمون ما كان وكان ؛ هذا من خصائص الله فمن ادعى شيئاً من خصائص الله لغيره لا يكون ناصحاً لله تبارك وتعالى ، وكذلك من يدعي في شيء من المخلوقات أن لها تصرفاً في هذا الكون وتديراً ونحو ذلك من خصائص الله في ربوبيته ؛ فمن قال ذلك ليس ناصحاً لله تبارك وتعالى بل اتخذ مع الله الشريك . وكذلك من يعطل صفات الله أو يعطل شيئاً منها أو ينفيها ويجحدها أو يحرف معانيها ودلالاتها ، أو يحاول تكييف شيء من صفات الله أو يقيس الله تبارك وتعالى وتقدس بخلقه ؛ فهؤلاء كلهم ليسوا ناصحين لله تبارك وتعالى .

وكذلك من يصرف شيئاً من حقوق الله . التي هي العبادة بأنواعها . لغيره كأن يدعو غير الله أو يستغيث بغير الله أو يذبح لغير الله أو يصرف شيئاً من أنواع العبادة لغير الله ؛ فهؤلاء كلهم ليسوا ناصحين لله ، لم يحققوا النصيحة لله تبارك وتعالى ؛ لأن النصيحة لله لا تكون إلا بتوحيده ، ولا يكون من الناس ناصحاً لله إلا الموحد ، الموحد في الألوهية والربوبية والأسماء والصفات ، أما المشرك والجاحد والمعطل والممثل وغير هؤلاء من أرباب الضلال ؛ فهؤلاء كلهم ليسوا من أهل النصيحة وليسوا من النصيحة في شيء الله تبارك وتعالى

فالنصيحة لله إنما تكون بتوحيده وإفراده سبحانه وتعالى بما خلق الخلق لأجله وأوجدهم لتحقيقه

كما قال سبحانه وتعالى ﴿ وما خلقت الجنَّ والإنسَ إلا ليعبدون ﴾ فهو خلق الخلق ليعبدوه وليؤمنوا به سبحانه وتعالى وليقرؤا بكماله وجلاله وعظمته فمن صرف شيئا من حقوق الله أو خصائصه لغيره سبحانه وتعالى فقد خرج من النصيحة ولم يكن من أهلها ، لا يكون ناصحا لله .

فإذا الأمر الأول . الذي هو النصح لله . يكون أولاً بالتوحيد ، توحيد الله جل وعلا في الربوبية والألوهية والأسماء والصفات .

قال " توحيده ووصفه بصفات الكمال والجلال " أي وصف الله بالكمال والجلال مما وصف تبارك وتعالى به نفسه ووصفه به رسوله صلوات الله وسلامه عليه ؛ فإذا وصف الله بصفات الكمال والجلال الثابتة في الكتاب والسنة هذا من النصح لله ، على خلاف ما يعتقده المعطلة ؛ المعطلة يزعمون أن النصح لله تبارك وتعالى يتطلب نفي صفاته الثابتة في الكتاب والسنة ؛ ولهذا في كتبهم يقررون نفي للصفات ظناً منهم أن هذا حقيقة النصح لله جل وعلا ، فينزّهون الله بزعمهم عن صفاته ، ينزهونه عن علوه الثابت في القرآن والسنة ، وينزهونه عن صفات كثيرة ثبتت له في كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ؛ هذا ليس من النصح في شيء ، النصح لله أن نصف الله تبارك وتعالى بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله عليه الصلاة والسلام ، ومن لم يكن كذلك بأن كان محرفاً أو كان معطلاً أو كان مُكَيِّفاً أو كان ممثلاً ؛ كل هؤلاء ما نصحوا لله وليسوا من أهل النصيحة لله تبارك وتعالى ؛ لأن حقيقة النصيحة لله أن ثبت الصفات كما جاءت وأن غمرها كما وردت إثباتاً بلا تكييف وتنزيهاً بلا تعطيل على حد قوله تبارك وتعالى ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ .

قال : " ووصفه بصفات الكمال والجلال " .. هكذا جاءت الكلمة هنا ، وهي موجودة في كتاب "صيانة صحيح مسلم" وعندما نقل الحافظ بن رجب رحمه الله تعالى هذا الكلام لم يذكر هذه الكلمة ؛ فلا أدري عن معناها أو مدلولها في هذا السياق ، لكنها ليست موجودة عند الحافظ بن رجب رحمه الله عندما نقل هذا النص عن ابن الصلاح رحمه الله تعالى ، وهي موجودة هكذا في كتاب الأصل ، وهي تحتاج إلى تحقيق ومراجعة .

ثم قال " وتنزيهه عما يضادها ويخالفها " .. تنزيهه أي الله سبحانه وتعالى ، تنزيهه عما يضادها أو يخالفها على حد قوله جل وعلا ﴿ ليس كمثله شيء ﴾ ، وقوله تعالى ﴿ فلا تضربوا لله الأمثال ﴾

وقوله جل وعلا ﴿ هل تعلم له سمياً ﴾ وقوله جل وعلا ﴿ فلا تجعلوا لله أنداداً ﴾ وقوله جل وعلا ﴿ ولم يكن له كفواً أحد ﴾ فنثبت لله تبارك وتعالى صفات الكمال ونعوت الجلال وننزه الله تبارك وتعالى عما يضاد ذلك من النقائص ومما لا يليق به جل وعلا ، وأيضاً ننزهه تبارك وتعالى عن مماثلة المخلوقين .

ولهذا قال أهل العلم إن باب التنزيه يتناول جانبين : الجانب الأول تنزيه الله عن النقائص والعيوب ، والجانب الثاني تنزيهه تبارك وتعالى عن مماثلة المخلوقين .

قال : " وتجنب معاصيه " .. وهذا من النصيحة لله تبارك وتعالى ؛ لأنه سبحانه وتعالى خلقت لتكون عبداً مطيعاً لا لتكون إنساناً عاصياً ، فمن النصيحة له أن لا تعصيه سبحانه وتعالى ، وأن تجاهد نفسك على تجنب معاصيه والبعد عن كل أمر يسخطه سبحانه وتعالى ، وإذا انفلتت نفسك ووقعت في معصية وارتكبت ذنباً فبادر إلى التوبة والأوبة والرجوع إليه سبحانه وتعالى ، وقد قال عليه الصلاة والسلام « كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون » فيبادر العبد إلى التوبة النصوح كما قال الله سبحانه وتعالى ﴿ توبوا إلى الله توبة نصوحاً ﴾ فيتوب إلى الله توبة نصوحاً ؛ وهذا من النصيح لله أن تتجنب الذنوب وتتحاشى من الوقوع فيها وإذا ابتلي العبد بشيء من الذنوب يبادر إلى التوبة النصوح من الذنب الذي وقع فيه أو من كل ذنب وقع فيه .

قال : " والقيام بطاعته و محابه بوصف الإخلاص " .. أي أن يقوم العبد الناصح بطاعة الله بفعل ما أمر سبحانه وتعالى وفعل ما يحب الله من عباده أن يفعلوه ، ويجاهد نفسه على فعل ذلك بوصف الإخلاص أي أن يقوم بالطاعة وفعل المحاب مخلصاً لله ، لا يفعل الطاعة رياءً ولا سمعة ولا يريد بها الدنيا وإنما يفعل الطاعة بوصف النصيحة كما قال جل وعلا ﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين ﴾ وكما قال جل وعلا ﴿ ألا لله الدين الخالص ﴾ فيفعل الطاعة والأمر التي يحبها الله سبحانه وتعالى بوصف الإخلاص أي يفعلها مخلصاً لله لأنه إذا فعل الشيء الذي يحبه الله وأمر عباده سبحانه وتعالى به على غير وصف الإخلاص لا يقبله الله منه ، كما في الحديث القدسي " أنا أغني الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه " .

قال : " والحب فيه والبغض فيه " .. أي في الله سبحانه وتعالى ، وهذا أوثق عرى الإيمان كما قال عليه الصلاة والسلام « أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله » ، وقال عليه الصلاة والسلام « من أحب لله

وأبغض لله وأعطي لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان » وقال عليه الصلاة والسلام « ثلاث من كن فيه وجد بحنّ حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما .. » الحديث .

قال : " وجهاد من كفر به تعالى " .. أيضاً مجاهدة الكفار وأرباب البدع وأهل الباطل بالسنن لمن قدر على ذلك وكان من أهل ذلك بالضوابط الشرعية أو باللسان من أهل العلم برد أباطيل الكفار وبيان زيغهم وضلالهم وكشف شبهاتهم وأباطيلهم ورد البدع والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؛ هذا كله داخلٌ في النصيحة لله تبارك وتعالى .

قال : " وما ضاهى ذلك " .. أي من الأمور والأعمال التي هي من جملة النصيحة لله عز و جل .

قال : " والدعاء إلى ذلك والحث عليه " .. أي من النصيحة لله تبارك وتعالى أن تحث العباد إلى أن يكونوا ناصحين لله ؛ وهذا فيه التنبيه أن من أكرمه الله سبحانه وتعالى بأن يكون ناصحاً لله بأعماله هو ، القيام بها على الوجه الذي يرضيه لا يكفي ذلك بل لابد مع ذلك أن يحث العباد على أن يكونوا ناصحين لله جل وعلا كما قال سبحانه وتعالى ﴿ والعصر ﴾ إن الإنسان لفي خسر * إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ﴾ .

قال [والنصيحة لكتابته الإيمان به وتعظيمه وتنزيهه وتلاوته حق تلاوته والوقوف مع أوامره ونواهيه وتفهم علومه وأمثاله وتدبر آياته والدعاء إليه ودب تحريف الغالين وطعن الملحدين عنه] .

الشرح ..

ثم ذكر رحمه الله تعالى معنى النصيحة لكتاب الله جل و علا الذي هو القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ؛ فالنصيحة لهذا الكتاب العظيم كيف تكون ؟

قال رحمه الله : " والنصيحة لكتابته الإيمان به " .. كما قال الله جل وعلا ﴿ يا أيها الذين آمنوا آمِنُوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله ﴾ وقال جل وعلا ﴿ كل آمن بالله وملائكته وكتبه ﴾ وقال

جل وعلا ﴿ ولكن البرَّ من آمن بالله واليوم الآخرِ والملائكةِ والكتابِ ﴾ فالنصيحة للكتاب الإيمان به ، والإيمان به أي الإيمان بأنه وحيُّ الله تبارك وتعالى وتنزيله وأنه كلامه سبحانه وتعالى وأن فيه الهداية للخلق وفيه بيان الحق وفيه الدعوة إلى الهدى وفيه سعادة البشرية وصلاحهم .

قال : " وتعظيمه وتنزيهه " .. " تعظيمه " أي بمعرفة فضل كتاب الله عز وجل ومكانته العظمى كما قال بعض السلف رحمهم الله ؛ قال " من أراد أن يعرف الفرق بين كلام الله وكلام المخلوقين فهو كالفرق بين الله وبين المخلوقين ، فلا بد من قدر كلام الله سبحانه وتعالى حق قدره ولا بد من تعظيم كلام الله سبحانه وتعالى يقول الله تعالى ﴿ ذلك ومن يُعَظِّمُ شعائرَ اللَّهِ فإنها من تقوى القلوب ﴾ فتعظيم كلام الله عز وجل المشتمل على الشعائر والهدى والحق والدين القويم وصلاح البشرية والإقرار بأنه كلام الله سبحانه وتعالى تكلم به هو جل وعلا سمعه منه جبريل ونزل به إلى محمد عليه الصلاة والسلام وقدره حق قدره ؛ هذا من النصيحة لكلام الله تبارك وتعالى .

" وتنزيهه " .. أيضاً كتاب الله عز وجل يجب أن ينزه ويصان عن كل ما لا يليق به ، ينزه عن الامتهان وينزه عن أن يُحتقر وينزه عن أن يعبث به عابث أو يحرفه محرف أو ينتقصه منتقص ، ينزه كلام الله تبارك وتعالى عن ذلك كله ويصان ، فكتاب الله جل وعلا من النصيحة له أن يعظم ومن النصيحة له أن ينزه ومعنى أن ينزه أي أن يصان عن كل أمر لا يليق بكلام الله تبارك وتعالى ؛ ولهذا حرامُّ امتهان القرآن أو تحقير القرآن أو تعريض القرآن للامتهان ؛ حرامُّ أشدُّ الحرمة وأمرٌ باطل ومنكرٌ من العمل ؛ ولهذا اتخذ أربابُ السحر والعياذ بالله انتقاص القرآن وامتهانه باباً لمن أراد أن يتعلم لديهم السحر ، وعامة السحرة يجعلون من جملة أعمالهم في عقد السحر امتهان كتاب الله وامتهان آياته ويتقربون بهذا إلى الشياطين حتى تعينهم على باطلهم وضلالهم وما يريدون فعله من فساد .

فالشاهد أن كتاب الله جل وعلا يجب أن يُصان ويجب أن يُنزه عن كل ما لا يليق به ؛ ولهذا قال أهل العلم بعدم جواز تعليق التيممة من القرآن لأسباب كثيرة ذكروا منها أن في تعليق التيممة من القرآن امتهاناً للقرآن وتعريضاً للقرآن للامتهان والقرآن يجب أن يصان وينزه من أن يُمتنَّه ؛ ولهذا يجب على العبد نصحاً لكتاب الله تبارك وتعالى أن لا يعرض كلام الله للامتهان والانتقاص ولو من غير قصد ، فأحياناً بعض الناس في بعض المساجد يمدُّ قدميه وأمام قدميه

مباشرة كتابُ الله سبحانه وتعالى هذا مما ينافي النصح ، أو يجعل فوق القرآن أمتعته بل ربما أشياء سيئة يجعلها فوق القرآن مثل أن يجعل جواله فوق القرآن ويكون الجوال مشتمل على أمور منكرة وباطلة ، فكتاب الله جل وعلا يجب أن يُحترم ويجب أن يُصان وأن تُعرف له منزلته ومكانته وقدره ؛ ولهذا أيضاً من النصح لكتاب الله تبارك وتعالى أن لا يمَس القرآن إلا طاهر ؛ فكل ذلكم من احترام القرآن وتنزيه القرآن وصيانة القرآن ؛ وهذا كله داخل في النصيحة لكلام الله سبحانه وتعالى ، وكذلك أيضاً ينزه من أن يرمى في الأرض أو أجزاء منه أو أوراق من المصحف ؛ فهذا أمرٌ لا بد منه تنزيهاً لكتاب الله ونصحاً له ، وبعض الناس لا يبالي بهذا الأمر ، وأحياناً توجد بعض من أوراق المصحف متساقطة في الأرض غير مبالٍ بهذا فهذا من الأمور التي يجب أن يُنتبه لها ، ومما أنبه عليه في هذا المقام ما يفعله بعض الناس من تعريض المصحف لحرارة الشمس في السيارة حتى يتمزق أو حتى يتلف تلفاً سريعاً ، فيضع المصحف في السيارة أمامه ويتركه أياماً ثم يتلف سريعاً ؛ فيجب أن يكون القرآن له قيمة عند حامله وصاحبه . يراعه ويصونه ويحافظ عليه . ولهذا بعض الناس يوفق في هذا الباب ويعتني بالمصحف عناية دقيقة فيبقى لأجيال كثيرة جداً ، وفي بعض البيوت ربما لا يستفيد منه إلا شخص واحد ثم يصبح بعد ذلك غير صالح بل قد تمزقت أوراقه.. إلى آخره ؛ فينبغي على عموم المسلمين أن ينصحوا لكتاب الله جل وعلا ، وأن تكون منهم عناية بهذا القرآن بكل ما تتطلبه النصيحة من معنى ومن ذلكم أيضاً ما جاء في قوله تعالى ﴿ إِنْ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴾ فمن عدم النصح للقرآن هجر القرآن سواءً هجر التلاوة أو هجر التدبر أو هجر العمل بالقرآن ؛ هذا كله يتنافى مع ما ينبغي أن يكون عليه المسلم من النصيحة لكتاب الله تبارك وتعالى .

قال : " وتلاوته حق تلاوته " .. أي من النصيحة للقرآن تلاوة القرآن حق التلاوة كما قال سبحانه وتعالى ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ﴾

وقد بين العلماء رحمهم الله تعالى أن تلاوة القرآن حق التلاوة تكون بأمر ثلاثة :

- الأول : حسن القراءة للقرآن والمراجعة والحفظ والاستذكار .
- الجانب الثاني : التدبر للمعاني وعقل الدلالات قال الله تعالى ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ ﴾ وقال تعالى ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ وقال ﴿

أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ﴿١﴾ وقال ﴿أفلم يدبروا القول﴾ فالجانب الآخر تدبر القرآن ومعرفة معانيه ودلالاته في ضوء ما نقل عن السلف الأولين من الصحابة والتابعين وفي ضوء ما كتبه الأئمة الراسخون والعلماء المحققين في كتب التفسير المعتمدة .

• والأمر الثالث : العمل بالقرآن ؛ فالعمل بالقرآن تلاوة للقرآن فليست التلاوة مجرد القراءة بل العمل بالقرآن يُعد تلاوة للقرآن ، وقد دل القرآن على أن العمل الذي هو اتباع القرآن والالتزام بأمره يسمى تلاوة كما في قوله تعالى ﴿ والقمر إذا تلاها ﴾ أي تبعها ، فلا يكون تالياً للقرآن إلا من اتبع القرآن لأن من معاني التلاوة في اللغة الاتباع . تلا فلانٌ فلاناً أي تبعه . فليست تلاوة القرآن بمجرد القراءة لحروف بل لا يكون تالياً للقرآن حقاً حتى يعمل بالقرآن ويتبع القرآن ؛ وهذا معنى قوله تعالى ﴿ الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته ﴾ يتلونه حق تلاوته بالقراءة والحفظ وبالفهم والتدبر والعمل و الاتباع ؛ بهذه الأمور الثلاثة يكون العبد تالياً للقرآن ، أما مجرد القراءة وإتقان الحفظ هذا لا يكفي ، وكما قال بعض السلف " ما جلس أحدٌ مع هذا القرآن إلا قام منه إما بزيادة أو بنقصان " وشاهد ذلك في قوله عليه الصلاة والسلام « القرآن حجة لك أو عليك »

والقرآن يكون حجة للعبد إذا كان من أهله ومن العاملين به ، ويكون حجة عليه إذا لم يكن من العاملين به ، وأعظم مصيبة في هذا الباب أن يكون فيمن يحفظ القرآن من يشرك به . يقرأ الآيات التي فيها التوحيد والدعوة إلى إخلاص الدين لله ثم يقول مدد يا فلان أو الحقني يا فلان أو أنا عائذ بجنابك أو أنا طالب منك منكسر بجنابك .. - فهذا ليس من أهل القرآن ولا من الناصحين للقرآن ولو كان حافظاً للقرآن حفظاً متقناً ؛ فلا بد من العمل بكتاب الله سبحانه وتعالى ليكون الإنسان من أهله ؛ ولهذا قال البصري رحمه الله " أنزل القرآن ليُعمل به فاتخذ الناس قرائته عملاً " أحياناً يعطى بعض الطلاب مائة بالمائة في الحفظ ، يكتب له المحقق مائة بالمائة . المخارج والمدود .. إلى آخره كلها يأتي بها على أحسن وجه . فيأخذ الدرجة الكاملة ولكن إن نظرت في حقيقة أفعاله فهو لا يستحق إلا صفر في المائة ؛ يعني مثل : يجيد قراءة قول الله سبحانه وتعالى ﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً ﴾ تجده يقرأ ذلك قراءةً صحيحة مرتلة تامة ولكنه عاق لوالديه ، من أهل العقوق ودائماً من أهل التأفف من الوالدين ولا يطيع والديه ، هل هو من أهل هذه الآية ؟ وهل هذه الآية أنزلت

لتقرأ بصوت عذب فقط وانتهى الأمر ؟ لا والله ؛ هذه أوامر وشرائع وأحكام فلا يكون الإنسان من أهل هذه الآيات إلا إذا حققها وعمل بها ؛ ولهذا نُقل عن الحسن البصري رحمه الله تعالى كلاماً يبيد فيه الألم والأسف على حال بعض القرّاء في زمانه وهو من علماء التابعين أدرك بعض أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام ؛ فيتكلم عن بعض القرّاء في زمانه يقول : يقول أحدهم " قرأت القرآن كله ولم أُسقط منه حرفاً وقد أسقطه والله كله " لا يُرى عليه القرآن لا في خلق ولا في عمل ، يعني إن نظرت إلى أخلاقه ليست أخلاق القرآن وإن نظرت إلى أعماله ليست أعمال القرآن ، لما وصفت عائشة رضي الله عنها خلق الرسول صلى الله عليه وسلم قالت " كان خلقه القرآن " ثم قال رحمه الله : " ماهؤلاء بالقرّاء وما هؤلاء بالعلماء وما هؤلاء بالورعة وإذا كانت القرّاء مثل هؤلاء لا كثر الله في الناس مثل هؤلاء " وهذا رواه عنه الأَجْرِيّ في كتابه العظيم أخلاق حملة القرآن ، ورواه غيره من أهل العلم .

فمن تلاوة القرآن حق التلاوة أن يعمل بالقرآن بامثال الأوامر واجتناب النواهي وتصديق الأخبار .

قال " والوقوف مع أوامره ونواهيه " .. وهذا وإن كان داخلياً فيما سبق ؛ ذكره تأكيداً ، والوقوف مع أوامره ونواهيه أي يقف مع الأمر ليفعله ويكون من أهله ، ومع النهي ليجتنبه ولكي لا يكون من أهله ؛ يعرف الأوامر ليفعلها ويعرف النواهي ليجتنبها ، جاء عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال " إذا سمعت الله يقول ﴿ يا أيها الذين آمنوا ﴾ فأرعها سمعك فإنه إما خيرٌ تؤمر به أو شرٌ تُنهى عنه " أما إذا كان الإنسان يمر على الأوامر والنواهي وكأنها لا تعنيه وكأنه ليس مخاطباً بها وكأن المطلوب فقط أن يمر على الحروف مرّاً سريعاً فهذا ليس من أهل النصيحة لكتاب الله جل وعلا .

وفي هذا المقام لا أنسى قصة مفيدة جداً مرت بي قبل سنوات طويلة قرابة العشرين سنة كنت أدرس في المرحلة المتوسطة فجاءني أحد الطلاب ومعه أوراق تزيد على المئتين ورقة . ملمومة ومدبسة ومضمومة ومكتوبة بخط جميل . طالب في المرحلة ثاني متوسط ، ومدّ إليّ الأوراق مكتوب فيها : " الأوامر والنواهي في القرآن " وكان حافظاً للقرآن ، فلما مد لي قلت ما هذا ؟ قال هذي أشياء جمعتها أريد أن تطلع عليها فظننت أنه في هذه السن المبكر بدأ يؤلّف ؛ فبدأت أنصحـه

فقلت له " ما أنصحك الآن أن تشتغل بالتأليف الآن اشتغل بالتعلم والتفقه ودراسة العلم ودع التأليف في مرحلة لاحقة إن شاء الله فيما بعد " فلما انتهيت قال لي " أنا أبين لك ما الذي فعلته ؛ فأنا أقرأ القرآن وأحفظ القرآن فتمر عليّ أوامر ونواهي ؛ فأردت أن أتفقه فيما يأمرني الله سبحانه وتعالى به وفيما ينهاني عنه لأفعل الأمر وأترك النهي ؛ ففعلت هذه الطريقة ، كلما يأتيني أمر في القرآن . في الصلاة في الزكاة في الصيام في البر .. إلى آخره . ؛ أجمعه وأجمع بعض الآيات المتعلقة بهذا الأمر مما يمر علي في القرآن ثم أرجع إلى تفسير ابن كثير وتفسير ابن سعدي وأنقل المعاني التي قالوها في هذه الآيات ، ثم بعد ذلك جمعت النواهي ؛ فهَمَّتُهُ وهو في هذه السن المبكر، همّة عالية في معرفة الأوامر والنواهي والتفقه فيها ليفعل المأمور ويترك المحذور .

فالمطلوب من العبد فعلاً هو هذا ؛ أن يقرأ القرآن ويتدبر القرآن فإذا وجد الأمر في كتاب الله فعله وإذا وجد النهي تركه ليكون بذلك من أهل القرآن الواقفين عند حدود كلام الله سبحانه وتعالى .

قال " وتفهم علومه وأمثاله " .. تفهم علوم القرآن ، والقرآن مليء بالعلوم النافعة المفيدة التي فيها صلاح القلوب و زكاء النفوس وسعادة البشرية .

"وتفهم أمثاله" نصّ على الأمثال التي ضربها الله في القرآن ، وهي تزيد على الأربعين مثلاً . كما ذكر ذلك ابن القيم رحمه الله . والله يقول ﴿ وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون ﴾ نقل ابن القيم عن بعض السلف أنه إذا قرأ مثلاً من أمثال القرآن ولم يعقل معناها بكى وقال " لست من العالمين " ؛ لأن الله قال ﴿ وما يعقلها إلا العالمون ﴾ فتفهم الأمثال وجُلُّ أمثال القرآن في تقرير التوحيد والتحذير من الشرك . وابن القيم رحمه الله اعتنى بأمثال القرآن عناية فريدة في كتابه " إعلام الموقعين " ، وجمعها وشرحها شرحاً ماتعاً نافعاً مفيداً .

قال " وتدبر آياته : تدبر آيات القرآن الكريم عملاً بقوله تعالى { أفلا يتدبرون القرآن } ؛ فيتدبر آيات الله ليعقل عن الله سبحانه وتعالى خطابه وليفهم كلامه سبحانه وتعالى .

" والدعاء إليه " : أي دعاء الناس إلى القرآن والعمل بالقرآن وليكونوا من أهل القرآن ؛ فهذا من النصيحة لكلام الله سبحانه وتعالى .

قال " ودبُّ تحريف الغالين وطعن الملحدين عنه " : أي عن كتاب الله عز وجل ، وهذا أمرٌ مطلوب من أهل العلم وأهل البصيرة ، أن يدبُّوا عن كتاب الله تحريف الغالين وانتحال المبطلين ؛ وهذا يقيض الله سبحانه وتعالى له في كل زمان عُذُولُهُ من أهل العلم وأهل الفضل ؛ يدبُّون عن كتاب الله عز وجل تحريف الغالين وطعن الملحدين .

وقال رحمه الله تعالى :

[والنصيحة لرسوله صلى الله عليه وسلم قريب من ذلك ؛ الإيمان به وبما جاء به، وتوقيره وتبجيله ، والتمسك بطاعته وإحياء سنته ، واستشارة علومه ونشرها ، كذا وفيما نقله عنه ابن رجب إستشارة علومها ونشرها ، ومعاداة من عاداه وعادها ، وموالاة من والاه ووالاها ، والتخلق بأخلاقه ، والتأدب بآدابه ، ومحبة آله وصحابته ونحو ذلك] .

الشرح..

ثم ذكر رحمه الله تعالى معنى النصيحة لرسوله صلى الله عليه وسلم ؛ قال : وهي قريب من ذلك ؛ أي قريب مما سبق أن بينه رحمه الله تعالى .

قال: والنصيحة لرسوله صلى الله عليه وسلم الإيمان به : ومر معنا سابقاً أن الإيمان به عليه الصلاة والسلام ركن من أركان الإيمان وأصل من أصول الدين . كما في حديث جبريل . وهذه الأصول جاءت في القراءان مثل قوله جل وعلا {ولكن البر من ءامن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبين} ؛ فالإيمان بالرسول أصلٌ من أصول الإيمان ، فمن النصح للرسول عليه الصلاة والسلام الإيمان به ؛ أي الإيمان بأنه رسول مرسل من رب العالمين ، وأنه بلغ الرسالة ، وأنه أدى الأمانة ، ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين ، وما ترك خيراً إلا دل الأمة عليه ولا شراً إلا حذرهما منه صلوات الله وسلامه عليه ؛ فمن النصح له عليه الصلاة والسلام الإيمان به .

" وبما جاء به " وقد جاء عليه الصلاة والسلام بالكتاب والسنة {واذكرن ما يئلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة} ، جاء عليه الصلاة والسلام بالقرآن وجاء بالسنة النبوية المنقولة والمأثورة عنه عليه الصلاة والسلام ؛ فمن النصح له الإيمان بما جاء به ، أما من كذب أو جحد أو لم يؤمن بما جاء به أو بشيء مما

جاء به عليه الصلاة والسلام فإنه لا يكون ناصحاً للرسول الكريم عليه الصلاة والسلام .

قال : "وتوقيره وتبجليه " توقير الرسول عليه الصلاة والسلام هو احترامه ومعرفة قدره وحرمته ومكانته عليه الصلاة والسلام وتعظيمه التعظيم اللائق به صلوات الله وسلامه عليه دون غلو ؛ لأنه عليه الصلاة والسلام حذر من الغلو أشد التحذير ؛ حذر من الغلو عموماً وحذر من الغلو فيه خصوصاً ولهذا قال « لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم وإنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله » ، وقال عليه الصلاة والسلام في سياق يتعلق بهذا الأمر " ما أحب أن تنزلوني فوق منزلتي التي أنزلي الله إياها " ؛ فحذر عليه الصلاة والسلام من الغلو ، ولهذا يجب أن يوقّر وأن يُحترم وأن تُعرف له حرمة وقدره عليه الصلاة والسلام ولا يكون ذلك حاملاً للإنسان إلى الغلو فيه ؛ لأن بعض الناس يهلك من جهة التعظيم ، أي يزيد في التعظيم على القدر المناسب فيقع في الغلو المذموم ؛ ولهذا ينقل عن أحد السلف . ولعله عبدالرحمن بن مهدي أو عبد الله المبارك . قال " وهل هلك من هلك إلا من جهة التعظيم " ؛ فتجد بعض الناس يريد أن يعظم الرسول ؛ فيعطيه من الصفات ومن الخصائص ما لا يليق إلا بالله فيقع في الهلاك ، وربما يقع في الكفر والشرك بالله سبحانه وتعالى ؛ لأن من أعطى مخلوقاً شيئاً من خصائص الله فقد اتخذ ذلك المخلوق شريكاً لله ؛ ولهذا لما سمع عليه الصلاة والسلام رجلاً يقول " ما شاء الله وشئت " غضب صلى الله عليه وسلم وقال " أجعلني لله نداً قل ما شاء الله وحده " ، ولما سمع الأنصارية تقول " وفيما رسول الله يعلم ما في غدٍ " غضب وقال " لا يعلم ما في غدٍ إلا الله " ، وينقل عنه في هذا الباب نقول ، ولما قال له الرجل " إني أستشفع بك على الله وأستشفع بالله عليك " ؛ غضب عليه الصلاة والسلام وقال " سبحان الله، الله أعظم من ذلك " ، فالأحاديث عنه في هذا المعنى كثيرة ؛ ولهذا من النصيحة للنبي عليه الصلاة والسلام أن يُعظّم وأن يُحترم وأن يُقدّر الاحترام والتقدير اللائق بمقامه لا أن يُعطى من باب التعظيم والاحترام شيئاً من حقوق الله أو شيئاً من خصائص الله ، قرأت مرة في مجلة أبياتاً في الثناء على النبي بدأ فيها بقوله :

هو الأول والآخر محمد هو الظاهر والباطن محمد

يا سبحان الله ! محمد عليه الصلاة والسلام كان في كل مرة إذا أوى إلى فراشه يقول : " اللهم

أنت الأول فليس قبلك شيء ، وأنت الآخر فليس بعدك شيء ، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء ؛ اقض عني الدين وأغنني من الفقر " ، فهو عبدٌ فقير إلى الله سبحانه وتعالى ؛ فليس من تعظيم النبي عليه الصلاة والسلام في شيء أن يُعطى من خصائص الله أو أن يعطى من حقوق الله تبارك وتعالى ؛ فهذا شرك بالله وداخل فيما حرمه الله في قوله { فلا تضربوا لله الأمثال } ، وفي قوله { فلا تجعلوا لله أنداداً } ، وفي قوله { ولم يكن له كفواً أحد } ، وغيرها من الآيات ، وهو أمرٌ لا يرضاه الرسول عليه الصلاة والسلام بل أنكره عليه الصلاة والسلام أشد الإنكار وغضب ممن فعله أشد الغضب .

قال " وتوقيره وتبجيله والتمسك بطاعته " .. أن يكون متمسكاً ومحافظاً على طاعة الرسول عليه الصلاة والسلام ، وطاعته من طاعة الله { من يطع الرسول فقد أطاع الله } ، ومعصية الرسول عليه الصلاة والسلام من معصية الله لأنه مُبَلِّغ { وما على الرسول إلا البلاغ } ؛ فمن أطاعه فقد أطاع الله ومن عصاه فقد عصى الله ؛ ولهذا من النصيحة له عليه الصلاة والسلام أن يتمسك العبد الناصح بطاعته عليه الصلاة والسلام ، وقد جاء عنه في الحديث الصحيح أنه قال : " كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى قالوا ومن أبى يارسول الله ؟ قال من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى " فمن النصيحة له عليه الصلاة والسلام أن يطاع .

قال : " وإحياء سنته " : أيضاً هذا من النصيحة له عليه الصلاة والسلام أن يسعى العبد في إحياء السنة ، وكثيراً ما تُمات السنة في كثير من البلدان والأصقاع والمناطق ولا يكون عند الناس منها خبر ؛ فإحياء السنة حيث البلد الذي ماتت فيه السنة ؛ هذا من النصح للرسول عليه الصلاة والسلام أن يعمل الإنسان في بلده أو منطقته على إحياء السنن الثابتة الصحيحة عنه صلوات الله وسلامه عليه ، وليس من النصيحة له صلى الله عليه وسلم في شيء أن تُحيا البدع أو أن تُنشر البدع ، وبعض الناس في بعض المناطق يستमित في نشر البدعة ويستमित في رد السنة ، فإذا وجد شخصاً يريد أن يحيي سنة في بلده استمات في ردها . وخاصة إذا كانت هذه السنة الثابتة الصحيحة تخالف الذي هو عليه وتصادم الذي نشأ عليه . فتجده يحارب السنة ويعاديها ؛ فمن النصح له عليه الصلاة والسلام إحياء سنته ، وقد قال عليه الصلاة والسلام « من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة » ، وقال عليه الصلاة والسلام « الدال على الخير كفاعله » ؛ فإذا أحيا العبد سنة جهلت أو نُسيّت أو

دُرست في البلد وعمل بها الناس ؛ يُكتب له أجر جميع العاملين بها ، وأيضاً إذا عمل بعمل هؤلاء آخرون وآخرون إلى ما شاء الله ؛ كل ذلك يُكتب في حسناته ؛ ولهذا أعمال الأمة كلها في ميزان حسنات النبي عليه الصلاة والسلام لأنه الإمام الأول والهادي الأول والداعي الأول صلوات الله وسلامه عليه لهذه الأمة ، والصحابة رضي الله عنهم لهم من ذلك النصيب الأوفر ، تميم بن أوس الداري رضي الله عنه روى هذا الحديث فكتب له أجره وأجر من عمل به إلى أن تقوم الساعة ، ومجلسنا هذا داخل في ميزان حسناته وفي ميزان كل من نقل هذا الحديث وشرحه وبينه ووضحه للناس .

قال: " واستشارة علومه ونشرها " .. هكذا في كتابه رحمه الله . صيانة صحيح مسلم المطبوع . .

وفيما نقله عنه بن رجب قال : " استشارة علومها ونشرها " .. والمراد أن تُحيا علوم السنة النبوية وأن يُعمل على نشرها بين الناس بكل مجال ، وفي زماننا هذا تيسرت ولله الحمد مجالات كثيرة جداً لإحياء السنن ونشرها ، تيسرت تيسراً عظيماً من خلال الكتب والرسائل والمطويات ، ومن خلال الأشرطة الصوتية ، ومن خلال الرسائل . رسائل الجوال المحمول . وغيرها من الوسائل الكثيرة التي تهيأت الآن لنشر سنة النبي عليه الصلاة والسلام بين الناس .

قال : ومعاداة من عاداه وعادها وموالاته من والاه ووالاها : بمعنى أن تُحب النبي عليه الصلاة والسلام وتواليه ، وتُحب سنته عليه الصلاة والسلام وتواليها وتوالي من والى السنة ، وأيضاً تعادي من عادى النبي عليه الصلاة والسلام وعادى سنته ، فيكون حبك في الله وبغضك في الله ، تحب الله عز وجل وتحب نبيه عليه الصلاة والسلام وتحب دينه وتحب سنته عليه الصلاة والسلام وتحب من أحبها ، وفي المقابل تُبغض من أبغض الدين أو أبغض سنة النبي عليه الصلاة والسلام أو عادها أو كان حرباً عليها فمن النصيحة له عليه الصلاة والسلام معاداة من عاداه وعادها ؛ من عاداه أي عادى النبي عليه الصلاة والسلام ، وعادها أي السنة ، وموالاته من والاه أي والى النبي ، وموالاته من والاه أي والى السنة .

قال " والتخلق بأخلاقه " .. أي مجاهدة النفس على التأدب بآداب الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه ، وقد قال عليه الصلاة والسلام " أقربكم مني منزلة يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً " أو كما قال عليه الصلاة والسلام ، قال " إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق " ، وجاء عنه

الأحاديث الكثيرة في بيان الأخلاق والآداب الكاملة ، و كان عليه الصلاة والسلام أحسن الناس أدباً وأكملهم خلقاً ، وليس في الأخلاق الفاضلة والآداب الكاملة خلق ولا أدب إلا والنبي صلى الله عليه وسلم حققه على أتم حال وأرفع مقام ، فكان صلوات الله وسلامه عليه أكمل الناس خلقاً وأدباً ، وقد أثنى عليه رب العالمين فقال {وإنك لعلی خلق عظیم} فذكر جل وعلا خلق النبي عليه الصلاة والسلام مبيناً لعظمة خلقه صلوات الله وسلامه عليه .

فمن النصيحة له عليه الصلاة والسلام أن يتأدب المسلم بآداب الرسول عليه الصلاة والسلام وأن يتخلق بأخلاقه .

وأهل العلم كتبوا في ذلك كتباً نافعة ؛ من أوسعها وأحسنها كتاب - الأدب المفرد للإمام البخاري رحمه الله تعالى - ؛ فقراءة هذا الكتاب أو غيره من كتب أهل العلم لمعرفة أخلاق الرسول عليه الصلاة والسلام وآدابه الكاملة من أجل أن يعمل بها العبد وأن يأتسي به عليه الصلاة والسلام في تلك الأخلاق ، هذا داخل في جملة النصيحة له عليه الصلاة والسلام .

قال " ومحنة آلِه وصحابته " .. هذا أيضاً من النصيحة له عليه الصلاة والسلام أن يكون محبة الناصح له محباً لأصحابه ولآل بيته الذين نصره وعزروه وآمنوا بالنور الذي أنزل عليه صلوات الله وسلامه عليه ؛ وبهذا يُعلم أن من كان في قلبه غلٌّ لأصحاب النبي عليه الصلاة والسلام فهو في الحقيقة ليس ناصحاً للنبي عليه الصلاة والسلام ، ولا أيضاً مراعيّاً لحقه صلوات الله وسلامه عليه ؛ لأن الصحابة هم أنصاره هم الذين عزروه ووقروه ، وهم أول من ءامن بالنور الذي أنزل عليه عليه الصلاة والسلام ، وهم الذين شهد الله لهم بالفضل والخيرية وأخبر عن رضاه عنهم ورضاهم عنه وعدَّهم سبحانه وتعالى في كتابه ؛ فمن كان في قلبه غلٌّ تجاه الصحابة أو يتحرك لسانه في الطعن في الصحابة أو في بعض الصحابة فهذا ليس من الناصحين لرسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، ولقد تكاثرت عنه الأحاديث في بيان فضل الصحابة ومكانتهم ورعاية حقهم والتحذير من الوقعة فيهم أو سبهم ، ومن ذلكم قوله عليه الصلاة والسلام « لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه » ، وقال عليه الصلاة والسلام « إذا ذُكر أصحابي فأمسكوا » أي لا تخوضوا في الصحابة بشيء من السب أو الوقعة أو الطعن أو نحو ذلك ، فمن النصح للنبي صلوات الله

وسلامه عليه أن يُعرف للصحابة قدرهم ومكانتهم ، وأن يكون القلب سليماً تجاههم ، وأن يكون أيضاً اللسان سليماً كما قال الله جل وعلا {والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم} ، وفي الآية دلالة على أن أهل الإيمان حقاً وصدقاً هم الذين سلمت قلوبهم وألستهم تجاه الصحابة ، سلامة القلوب دَلَّ عليها قوله {ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا} وسلامة الألسنة في قوله {يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان} .

قال " ومحنة آل وصحابته " .. أيضاً محبة آل بيت النبي عليه الصلاة والسلام ومعرفة قدرهم وما أكرمهم الله جل وعلا به من الصحبة والقربة ، وقد أوصى عليه الصلاة والسلام بآل بيته وبحفظ حق آل البيت " أوصيكم الله في آل بيتي " ، وجاء عنه عليه الصلاة والسلام الأمر بحبهم ، وأن حبهم من حبه عليه الصلاة والسلام ، فمعرفة فضائل آل بيت النبي عليه الصلاة والسلام ومعرفة أقدارهم ومنازلهم ومكانتهم ؛ هذا كله داخل في النصح للنبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه ، وأهل السنة والجماعة هم أعظم الناس رعاية وقياماً بحقوق آل بيت النبي وحقوق أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام ، وهم أبعد الناس في هذا الباب عن الغلو والجفاء لأن هذا الباب زلَّ فيه طائفتان : طائفة غلت في آل بيت النبي وجفوا في حق الصحابة ، وطائفة أخرى غلو في بعض أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام وجفوا في حق آل بيته ، والحق قوام بين ذلك ، الحق هدى بين ضاللتين وحسنة بين سيئتين ، الحق المعرفة للجميع أقدارهم ومكانتهم دون غلو أو جفاء ودون إفراط أو تفريط .

قال رحمه الله تعالى : ونحو ذلك : أي من الأمور المتعلقة بالنصيحة للنبي الكريم عليه الصلاة والسلام .

وقال [والنصيحة لأئمة المسلمين أي لخلفائهم وقادتهم معاونتهم على الحق ، وطاعتهم فيه ، وتنبيههم وتذكيرهم برفق ولطف ، ومجانبة الخروج عليهم ، والدعاء لهم بالتوفيق ، وحثُّ الأغيار على ذلك] .

الشرح ..

ثم ذكر رحمه الله تعالى النصيحة للأئمة المسلمين ؛ بيّن أولاً ما المراد بالأئمة ؛ قال لخلفائهم وقادتهم ، ثم بين النصيحة لهؤلاء كيف تكون ؛

قال " معاونتهم على الحق وطاعتهم فيه " .. أي في الحق . ؛ أي إذا اتجهت همتهم ورغبتهم وعزيمتهم للعمل بالحق يعاونوهم عليه ويشدوا من أزرهم ، وإذا أمرهم بفعل شيء من الحق أطاعهم لأن عليه السمع والطاعة بالمعروف ؛ فإذا أمرهم بمعروف و بحق لزمه أن يطيعهم ؛ قال الله جل وعلا { يا أيها الذين ءامنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم } ؛ فأمر الله عز وجل بطاعة أولي الأمر إلا إذا أمروا بمعصية ؛ فإذا أمروا بمعصية فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق .

قال " وتنبيههم وتذكيرهم برفق ولطف " .. أن ينبه الولاة والخلفاء والقادة برفق ولطف ، وأن يكون أيضاً هذا التنبيه سراً ، كما دلت على ذلك بعض النصوص والآثار ، أن ينصحهم سراً بينه وبينهم برفق ولين لا بالتشهير ولا بالتعنيث ولا بالشوشرة وإثارة الفوضى وإنما ينصح لهم وينبهم برفق ولين ؛ فهذا من النصيحة لهم .

قال " ومجانبة الخروج عليهم " .. أن يحذر أشد الحذر من الخروج على ولاة الأمر ورفع السيف ونزع اليد من الطاعة والافتيات على ولي الأمر ؛ فهذا كله من الغش وليس من النصيحة في شيء ، قد قال عليه الصلاة والسلام « ثلاث لا يغفل عليهن قلب امرئ مسلم إخلاص العمل لله ولزوم جماعة المسلمين والنصيحة لولاة أمرهم » أو كما قال عليه الصلاة والسلام ؛ فالنصح لولاة الأمر هذا ينبغي على كل مسلم أن لا يكون في قلبه غل تجاه هذا الأمر بل ينبغي عليه أن تسمح نفسه وتلين لذلك ؛ ولذلك قال " مجانبية الخروج عليهم " أي أن يكون على حذر من أن يقع في هذا الأمر . أن ينكث البيعة أو أن يفتات على ولي الأمر أو أن ينزع اليد من الطاعة أو أن يرفع السيف . فهذا كله خلاف النصيحة المفروضة لولاة الأمر المنصوص عليها في هذا الحديث العظيم .

قال " والدعاء لهم بالتوفيق " .. أن تخصهم بالدعاء أن يوفقهم الله ، أن يصلحهم الله ، أن يهديهم الله ، أن يسددهم أن يلهمهم الصواب ، أن يعيذهم من الانحراف والضلال ، أن يجنبهم بطانة السوء ، وأن يرزقهم البطانة الناصحة ؛ هذا كله من النصيحة لهم ؛ ولهذا نُقل عن

بعض السلف مثل الفضيل بن عياض أنه قال " لو كان لي دعوة مستجابة لجعلتها للإمام " ؛ يعني لو قيل لي لك دعوة واحدة مستجابة يقول لدعوت بها للإمام ، ما أخص نفسي بها ؛ لماذا ؟ قال عبد الله بن المبارك : " من يقدر على هذا إلا مثلك " ؛ يعني هذا أمر عظيم ما يقدر عليه أحد وإلا لو قيل لأحدنا لك دعوة مستجابة ؛ ففتجه همته لأشياء خاصة به هو إما دنيوية أو أخروية ، لكن أن يتجه الإنسان هذا الإتجاه العظيم بأن يدعو بالشيء الذي هو صلاح للأمة لأن صلاح الراعي يثمر صلاح الرعية وتنتفع الرعية غاية الانتفاع من صلاحه ، وفساده فساد الرعية ومضرة على الرعية ؛ ولهذا من النصيحة للإمام أن يُدعى له ؛ يُقال : اللهم اهده ، اللهم أصلحه ، اللهم وفقه ، اللهم سدد له ونحو ذلك من الدعوات النافعة ، ولهذا قال بعض السلف " إذا رأيت الرجل يدعو للسلطان فاعلم أنه صاحب سنة وإذا رأيته يدعو على السلطان فاعلم أنه صاحب بدعة " لأن من النصيحة الدعاء للسلطان ، الدعاء له أي بالهداية ، بالتوفيق .

لكن إذا وقع السلطان في ظلم ليس معنى أن تدعوا له أن تقول جزاه الله خيراً ، يعني يظلمك وتدعو له بهذا الدعاء ليس هذا المراد أو تقول بارك الله فيك ؛ وإنما تقول : اللهم اهده للصواب ، اللهم وفقه للبعد عن الظلم ، اللهم سدد في آراءه وأقواله وأعماله ؛ تدعو بهذه الدعوات التي فيها نفع للناس وللأمة وللناس عموماً ؛ فهذا مقتضى النصيحة .

قال " والدعاء لهم بالتوفيق وحث الأغيار على ذلك " .. أي أن تحث الناس على ذلك ؛ على أن يكونوا ناصحين لولاة الأمر غير غاشين لهم ، داعين لهم بالخير والتوفيق والسداد .

وقال [والنصيحة لعامة المسلمين ؛ وهم هاهنا من عدا أولي الأمر منهم ؛ إرشادهم إلى مصالحهم وتعليمهم أمور دينهم ودنياهم ، وستر عوراتهم ، وسد خلاصهم ، ونصرتهم على أعدائهم ، والذب عنهم ، ومجانبة الغش والحسد لهم ، وأن يحب لهم ما يحب لنفسه ، وأن يكره لهم ما يكرهه لنفسه وما شابه ذلك] .

الشرح..

ثم ذكر رحمه الله تعالى النصيحة لعامة المسلمين ، وبين أولاً من هم عامة المسلمين ؛ قال : وهم

ها هنا من عدا أولي الأمر منهم ؛ لأن أولي الأمر لهم من النصيحة شيء مخصوص ، خصهم النبي عليه الصلاة والسلام بشيء من النصيحة زائد على غيرهم وهو حق لهم ، وهو جزء من الدين الذي صدّر النبي عليه الصلاة والسلام الحديث به ، وعامة المسلمين هم من عدا أولي الأمر منهم .

ثم بيّن رحمه الله كيف تكون النصيحة لعامة المسلمين ؛

قال " إرشادهم إلى مصالحهم " .. أن يكون عاملاً على الدلالة على الخير ، هداية الناس إلى مصالحهم ومنافعهم الدينية والدنيوية .

قال " وتعليمهم أمور دينهم ودنياهم " .. أي أن هذا من النصيحة ؛ أن تسعى في تعليم الناس أمورهم الدينية والدنيوية ، ولا سيما إذا استشارك واستنصحك . ولا يكون تعليم لأمر الدين إلا بعلم { قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة } لأن من دعا بغير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح ؛ فمن النصيحة لهم أن تعلمهم إذا كنت ذا علم ، وإن لم تكن ذا علم فأجلهم إلى أهله ، إياك أن تعلمهم بدون علم لأنه جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال " من أرشد إلى غير رشد فإنما إثمه على من أرشده " ؛ فتتحمل إثم ما أرشدته إليه بغير علم ، فإذا كان الإنسان على علم وبصيرة يعلم وإذا كان على غير علم يحيل إلى أهل العلم والفقهاء في دين الله تعالى

قال " وستر عوراتهم " .. أيضاً هذا من الأمور المطلوبة ، ليس من النصيحة أن يفضح الإنسان إخوانه أو يهتك أستارهم أو يفشي أسرارهم ؛ بل أن يستر عورات إخوانه إذا رأى عيباً أو زلة أو خطأ يستر عورة أخيه ولا يهتك ستره ولا يفضحه بين الناس ؛ فهذا ليس من النصيحة في شيء ، وكما أنه هو في نفسه لا يحب أن تُهتك عورته وأن يُفشى سره ، وأن يشاع خطؤه في الناس ؛ فينبغي عليه أن يكون كذلك في تعامله مع الآخرين .

" وسد خلاقتهم " .. أي ما يكون عندهم من عوز أو حاجة أو نحو ذلك ؛ يسد ذلك بقدر استطاعته وبحسب وسعه .

" ونصرتهم على أعدائهم " .. قال عليه الصلاة والسلام " أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً " ،

ونصرة الأخ المظلوم واضحة ، ونصرة الظالم أي بكفه ومنعه عن الظلم .

قال " والذب عنهم " .. هذا أيضاً من النصيحة ؛ ذبك عن أخيك المسلم ، ودفاعك عنه ، ورفعك الغيبة عنه ، ومنعك من إيذائه أو الإضرار به ؛ هذا كله من النصيحة لإخوانك المسلمين .

قال " ومجانبة الغش والحسد لهم " .. قد قال عليه الصلاة والسلام " من غشنا فليس منا " ، وجاء عنه عليه الصلاة والسلام النهي عن الحسد قال " لا تحاسدوا " ، والحسد هو تمني زوال النعمة عن من أنعم الله سبحانه وتعالى عليه بالنعمة ، ولهذا قيل " الحاسد عدو نعمة الله على عباده " .

فمن النصيحة للإخوان وعموم المسلمين عدم الغش وعدم الحسد والبعد عن الخصال الأخرى التي جاء النهي عنها " لا تباغضوا ولا تدابروا ولا تحاسدوا ولا تناجشوا وكونوا عباد الله إخواناً " ، يتعد عن الغيبة والنميمة والاستهزاء وغير ذلك ؛ فهذا كله من النصيحة لعموم المسلمين .

قال " وأن يحب لهم ما يحب لنفسه ويكره لهم ما يكره لنفسه " .. لقوله صلى الله عليه وسلم " لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه " ، وسيأتي هذا الحديث عند المصنف رحمه الله تعالى .

قال " وما شابه ذلك " .. أي من الخصال والأمر الداخلة في النصيحة للمسلمين .

وبهذا ينتهي كلام الإمام ابن الصلاح رحمه الله تعالى ، وهو كلام عظيم في شرح الحديث وبيان مضامينه .

قال [ثالثاً : مما يُستفاد من الحديث :

الأول : بيان عظم شأن النصيحة ، وعظيم منزلتها من الدين .

ثانياً : بيان لمن تكون النصيحة .

ثالثاً : الحث على النصيحة للخمس المذكورة في الحديث .

رابعاً: حرص الصحابة على معرفة أمور الدين وذلك بسؤالهم لمن تكون النصيحة .

خامساً : أن الدين يُطلق على العمل بكونه سمي النصيحة ديناً] .

والله تعالى أعلم ، وصلى الله وسلّم على عبد الله ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

..*